کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

علوم اللغة

(٥١)

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد الثاني | العدد الأول | ١٩٩٩

رئيس التحرير

أ. د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

نائبا رئيس التحرير
أ. د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)
أ. د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

مدير التحرير
د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

المستشارون العلميون

أ. د. جوزيف ديشى (ليون ٢)
أ. د. حسن حمزة (ليون ٢)
أ. د. حمزة المزينى (الرياض)
أ. د. رئيف جورج خورى (هيدلبرج)
أ. د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)
أ. د. فولفديترش فيشر (ارلانجن)

أ. د. عبده على الراجحى (الاسكندرية)
أ. د. كمال محمد بشر (القاهرة)
أ. د. مانفرد ڤويدخ (أمستردام)
أ. د. محمد عونى عبد الرءوف (عين شمس)
أ. د. محمود الطناحى (حلوان)
أ. د. مصطفى مندور (بنها)

شماره ثبت ٩٠٨٦٨
تاریخ ٣/٥/١٣٨٤

الناشر
دار غريب
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علـــوم اللغـــة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج ٢ ، ع ١ ١٩٩٩

© حقوق الطبع والنشر محفوظة ، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته ، أو اختزانه في أى شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات ، إلا بإذن كتابي من الناشر .

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٠٣٥٤٢ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث:	الصفحة
لفظ الله دراسة فى التأصيل المعجمى فى السامية والخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية د. محمد رجب الوزير	٩
دور السياق فى تقدير مرجع الضمير فى الدراسات اللغوية والقرآنية د. محمد أحمد خضير	٦٩
أثر التغير الدلالى فى ظهور الترادف د. طيبة صالح الشذر	١٠٣
القلب المكانى فى الموروث اللغوى د. أحمد مطر العطية	١٨٠
تبسيط استخدام اللغة العربية:الضعف اللغوى والإصلاح د. عوض بن حمد القوزى	٢١٧
المصدر الصناعى فى الصحافة المصرية (١٩٩٦ - ١٩٩٨) دراسة صرفية دلالية د. عزة عبد الحكيم عبد الفتاح	٢٤٦
كتاب «علم النص» لتوين أ. فان دايك د. سعيد حسن بحيرى	٣١٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

دور السياق فى تقدير مرجع
الضمير فى الدراسات اللغوية والقرآنية

د. محمد احمد خضير
كلية الآداب - جامعة القاهرة

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مرجع الضمير فى القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالسياقين اللغوى وغير اللغوى فى الدراسات اللغوية والقرآنية ، ولقد سبقت هذا البحث دراسات فى عودة الضمير لكنها لم تبحث هذه العلاقة ولم تتبين ذلك فى أقوال النحاة والمفسرين ، أهمها دراسة للدكتور طه حسين بعنوان (استخدام ضمير الغائب فى القرآن كاسم إشارة) وقد نشرت هذه الدراسة لأول مرة فى باريس سنة ١٩٢٨ ، ثم ترجمت إلى العربية ونشرت سنة ١٩٩٠ ضمن كتاب بعنوان (من الشاطئ الآخر) ، وقد جعل الدكتور طه حسين كل ضمائر الغائب التى تخالف قاعدة الضمير أسماء إشارة منكراً لما ذهب إليه النحاة والمفسرون ، وهو بحث قيم سيفيد منه الباحث على كل حال .

وكذلك كتاب مرجع الضمير فى القرآن تأليف الدكتور / محمد صبرة المنشور فى دار الثقافة العربية ، فإنه لايفى بهدفنا من هذا البحث .

لقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشى حين قال إن « المضمر لايكون إلا بعد الظاهر لفظًا ومرتبة ، إلا فى أبواب ضمير الشأن

والقصة ، وباب نعم وبئس ، كقوله تعالى ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ البقرة ٢٧١ ، و ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ ﴾ الأعراف ١٧٧ ، والضمير فى « رُبَّهُ رجلاً » ، وباب الإعمال ، إذا أعملت الثانى ، والأول يطلب عمدة ، فمذهب سيبويه أنك تضمر فى الأول ، فتقول : « ضربونى وضربت الزيدين » [١] وكذلك قالوا بوجوب مطابقة الضمير للمرجع فى النوع والعدد [٢] .

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يخالف تلك القواعد ، فانبرى النحاة والمفسرون يبررون ذلك ويفسرونه معتمدين على السياق اللغوى والمقامى فى البحث عن مرجع الضمير ، وعن مطابقته له فى النوع والعدد .

ولاشك أن النص القرآنى لا تفسر الجملة منه ، أو اللفظة منفردة ، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآنى كله ، وهو ما نسميه السياق اللغوى ، وقد يفسرها ما هو خارج عن النص القرآنى من مثل السنة المطهرة أو أسباب النزول وكل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآنى من متكلم ومخاطب ومكان وزمان وعموم وخصوص .

فهل أسهمت تلك الظروف فى تفسير مرجع الضمير فى القرآن الكريم ؟ وما مدى تأثيرها ؟ وهل تنبه النحاة والمفسرون إلى ذلك وما استغلوه على أكمل وجه ؟ أم أن نظرتهم كانت قاصرة ؟ كل هذه تساؤلات يحاول هذا البحث الإجابة عليها أو على بعضها .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ٤/ ٤١ ، ٤٢ ، وراجع أيضًا : المقتضب ٣/ ١٨٦ ، مغنى اللبيب ٥٨٠ وقد حدد المواضع التى يعود الضمير فيها على ما تأخر لفظًا ورتبة ٦٣٥ وما بعدها ، النحو الوافى ١/ ٢٥٥ وما بعدها .

وراجع فى ضمير الشأن ، و (ربَّهُ رجلاً) المقتضب ٣/ ٦٧ ، شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١١٤ ، ١١٨ ، همع الهوامع ١/ ٢٦٦ وما بعدها ، النحو الوافى ١/ ٢٥٠ .

(٢) راجع : النحو الوافى ١/ ٢٦٢ وما بعدها ، من الشاطئ الآخر ١٢٩ .

لقد ذهب الدكتور طه حسين فى حله لهذه المشكلة إلى جعل كل ضمير للغائب يخالف القاعدة اسم إشارة [1] وارتاح لهذا الحل وبرهن عليه ، لكن اسم الإشارة يُبحثُ له - منطقيًا عن مرجع أو عائد أيضًا ، فنحن مضطرون إلى البحث عن عائد لاسم الإشارة .

لقد بحث النحاة والمفسرون عن مرجع للضمير ، ولما لم يجدوا المرجع ظاهرًا قدروه مفهومًا من السياق ، من ذلك تقديرهم للمصدر مرجعًا للضمير فى مثل قوله تعالى ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الأنعام ١٢١ حيث قدرها الفراء « أكلكم ما لم يذكر اسم الله عليه فسق ، أى كفر وكنى عن الأكل »[2] وقال الزمخشرى « (وإنه لفسق) الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى ، يعنى وإن الأكل فيه فسق » [3] وقال أبو حيان بذلك وعرض أقوالاً أخرى فى عودة هذا الضمير [4] .

ومثل ذلك عند الفراء أيضًا ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ آل عمران ١٨٠ ، فمعناه عنده « فلا تحسبن الباخلون البخل هو خيرًا لهم . فاكتفى بذكر يبخلون من البخل ، كما تقول فى الكلام : قدم فلان فسررت به ، وأنت تريد : سررت بقدومه ، وقال الشاعر :

إذا نهى السفيه جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد إلى السفيه » [5] ، ومثل ذلك جاء أيضًا عند سيبويه والأخفش والمبرد

---

(١) راجع تلك القاعدة فى : من الشاطئ الآخر ١٣٢ .

(٢) معانى القرآن ١/ ٣٥٢ .

(٣) الكشاف ٢/ ٤٧ .

(٤) البحر المحيط ٤/ ٢١٣ .

(٥) معانى القرآن ١/ ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وراجع ١/ ٣١٢ ، ٤٣ .

والزجاج والنحاس [1] . وقد قالوا ذلك فى آيات كثيرة أخرى [2] .

والمصدر الذى يجعلونه مرجعًا للضمير فى تلك الآيات يفهم من الفعل المذكور فى الجملة ويكون من لفظه . وقد يفهم من وصف مذكور أيضًا مثل اسم الفاعل (ملاقو) فى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة ٤٦ أى إلى اللقاء [3] .

وقد يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على المصدر المؤول المذكور فى الجملة أو على المصدر الصريح مثل ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ ﴾ الأنفال ٦٠ فالضمير فى (ترهبون به) راجع إلى (ما استطعتم) عند الزمخشرى أو على (ما) أو الإعداد المفهوم من (أعدوا) ، أو القوة أو رباط الخيل عند أبى حيان [4] ولاشك أن الضمير يحتمل أن يعود على كل ذلك لأن الإعداد هو نفسه الاستطاعة وهو الذى يستطاع وهو القوة وهو رباط الخيل وإرهاب الأعداء مطلوب بكل ذلك ، ومهما قدر المرجع هنا فالمعنى يحتمله إلا أن عودة الضمير إلى المذكور أولى سواء كان المصدر المؤول (ما استطعتم) أو الاسم الموصول (ما) الذى لا يستغنى عنه صلته (استطعتم) ، أو القوة والرباط معًا ، ولا داعى لتقدير مصدر (أعدوا) وإن كان المعنى يحتمله .

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٨٩ ، معانى القرآن للأخفش ١/ ١٠٣ ، ٢٢٤ ، المقتضب ٤/ ٥٢ ، معانى القرآن وإعرابه ١/ ١٢١ ، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٤٨ ، ٥/ ٣٠ ، الحجة للفارسى ٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) راجع : دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث / الجزء الأول ٢٦ وما بعدها ، البرهان فى علوم القرآن ٤/ ٢٦ ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ./ ٨٤٥ .

(٣) البحر المحيط ١/ ١٨٧ ، وراجع التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ١/ ٦٠ .

(٤) راجع : الكشاف ٢/ ١٦٦ ، البحر المحيط ٤/ ٥١٢ .

ومثل ذلك يقال فى قوله تعالى ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ يوسف ٩ فالضمير فى (بعده) قد يعود إلى يوسف أو مصدر (اقتلوه) أو (اطرحوه) [١] ، أى من بعد يوسف أو قتله أو طرحه أرضًا ، وكل ذلك يحتمله المعنى .

وقد يحتمل أن يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على مرادف للفظة فى الجملة كما يحتمل أن يكون جاريًا مجرى اسم الإشارة فى مثل قوله تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾ النساء ٤ ، فالضمير فى (منه) يحتمل أن يكون جاريًا مجرى اسم الإشارة أو راجعًا إلى ما هو فى معنى الصدقات وهو الصداق - عند الزمخشرى - أو على ما تدل عليه الصدقات وهو المال ، أو على مصدر الفعل (آتوا) وهو الإتيان - عند أبى حيان [٢] .

وقد يعود الضمير على لفظة فى الجملة أو مفهوما من المعنى العام للآيات وهذا ما نجده عند أبى حيان فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ البقرة ٧٢ حيث قال : « الضمير فى (فيها) عائد على النفس وهو ظاهر ، وقيل على القَتْلة ، فيعود على المصدر المفهوم من الفعل ، وقيل على التهمة فيعود على ما دل عليه معنى الكلام » [٣] .

وهكذا يتحكم المعنى فى مرجع الضمير ، بل إن الضمير قد يعود على لفظ فى الجملة ، لكنهم يقدرون معناه مرجعًا للضمير ، فيقولون إن الضمير عائد على معنى اللفظ فى مثل قوله تعالى ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا

---

(١) راجع : الكشاف ٣/ ٣٠٥ ، البحر المحيط ٥/ ٢٨٤ .

(٢) راجع : الكشاف ١/ ٤٩٨ ، البحر المحيط ٣/ ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) البحر المحيط ١/ ٢٥٩ .

﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ آل عمران ١٦٥ ، قال أبو حيان « الإضمار فى (هو) راجع إلى المصيبة على المعنى لا على اللفظ » [١] .

وقد يعود الضمير إلى اللفظ فيقولون إنه عائد إلى ذلك اللفظ دون معناه لأن المعنى المقصود غير هذا اللفظ ، ومن أمثلة ذللك الضمير فى (عمره) من قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ فاطر ١١ قال الفراء « ولا ينقص من عمره ، يريد آخر غير الأول ، ثم كنَّى عنه بالهاء كأنه الأول . ومثله فى الكلام : عندى درهم ونصف يعنى نصف آخر . فجاز أن يكنى عنه بالهاء ؛ لأن لفظ الثانى قد يظهر كلفظ الأول فكنَّى عنه ككناية الأول » [٢] .

ومثل ذلك ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة ٢٧١ فالضمير فى (تخفوها) - عند أبى حيان - عائد على معنى الصدقات وهو التطوع « فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظًا لا معنى ، فيصير نظير : عندى درهم ونصفه ، أى نصف درهم آخر ؛ لأن قائل ذلك يريد : أن عنده درهمًا ونصف هذا الدرهم الذى عنده » [٣] .

وإذا كان المعنى فى الآية على أن الصدقات المظهرة غير تلك المضمرة ، فإننا لا نسبغ هذا التكلف فى إعادة الضمير ، فالضمير عائد إلى جنس الصدقات سواء أكانت ظاهرة أو خفية ، وهو ما قال به ابن عباس وغيره فى مثل هذه الآية [٤] .

---

(١) البحر المحيط ٣/ ١٠٧ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٦٨ ، راجع البحر المحيط ٧/ ٣٠٤ .

(٣) البحر المحيط ٢/ ٣٢٤ وفى مثل ذلك راجع أيضًا : دراسات لأسلوب القرآن ٣/ ١/ ٥٧ .

(٤) راجع : البحر المحيط ٧/ ٣٠٤ .

وقد يذكر اسمان فى السياق اللغوى ويعود الضمير على أحدهما ، وقد جاء ذلك فى القرآن كثيراً ، ورده النحاة والمفسرون إلى أسباب دلالية أو نحوية ومن أمثلة ذلك الضمير فى قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ يونس ٥ قال الفراء « ولم يقل : وقدرهما . فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة ؛ إنّ به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعًا ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر :

رمانى بأمر كنتُ منه ووالدى بريئًا ومن جُول الطوىّ رمانى

وهو مثل قوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ التوبة ٦٢ ولم يقل أن يرضوهما [١] ، وقد جعل الزمخشرى الضمير عائدًا إلى القمر ، وقال أبو حيان إن الضمير عاد عليه وحده ؛ لأنه هو المراعى فى عدد السنين والحساب ، عند العرب ، بينما يقول ابن عطية إنه يحتمل أن يريدهما معًا يحسب أنهما مصرَّفان فى معرفة عدد السنين والحساب ، لكنه اجترئ بذكر أحدهما [٢] . وخلافهم هنا يرتبط بالسياق الخارجى فمنهم من جعل القمر وحده هو المراعى فى عدد السنين والحساب فعليه يعود الضمير ، ومنهم من جعل الشمس أيضًا كذلك فالضمير يمكن أن يعود إليهما معًا لكنه اجتزئ بأحدهما من الآخر .

ومثل ذلك الضمير فى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ التوبة ٣٤ . قال الفراء « ولم يقل : ينفقونهما فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذلك . وإن شئت اكتفيت بذكر

---

(١٩) معانى القرآن للفراء ١/ ٤٥٨ .

(٢٠) راجع : الكشاف ٢/ ٢٢٥ ، البحر المحيط ٥/ ١٢٥ .

أحدهما من صاحبه ، كما قال ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ الجمعة ١١ ، فجعله للتجارة ، وقوله ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ النساء ١١٢ فجعله والله أعلم - للإثم ، وقال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ولم تقل : راضيان . وقال الآخر :

إنى ضمنت لمن أتانى ما جنى وأبى وكان وكنت غير غدور

ولم يقل : غدورين ، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد . وقوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ التوبة ٦٢ ، « إن شئت جعلته من ذلك : مما اكتفى ببعض من بعض ، وإن شئت جعلت الله تبارك وتعالى فى هذا الموضع ذكر لتعظيمه ، والمعنى للرسول ﷺ » [١] .

وإذا كان الفراء فى هذا النص يعتمد المعنى لتفسير عودة الضمير ، فإننا نجد أبا عبيدة يرد ذلك إلى الاعتماد على معرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه فى الفعل ثم يقول إن العرب تفعل ذلك ويستشهد باشعارهم [٢] .

كذلك قال الزجاج « ولم يقل يرضوهما ، لأن المعنى يدل عليه ، فحذف استخفافًا » [٣] وقال الزمخشرى وأبو حيان إن ﷻ ورضى الرسول ﷺ فى حكم مرضى واحد ، وقال العكبرى إن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى وخرَّج أبو حيان آيات أخرى على ذلك [٤] .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٤٣٤ ، راجع ١/ ٤٤٥ ، الكشاف ٢/ ١٨٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٢، الكتاب ١/ ٧٥ ، المقتضب ٣/ ١١٢ .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢/ ٢٥٨ . معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٩٢، ٤٩٣ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٥٠٧ .

(٤) الكشاف ٢/ ١٩٩ ، التبيان فى إعراب القرآن ٢/ ٦٤٨ ، البحر المحيط٥/ ٦٤ ، وراجع آيات أخرى فى دراسات لأسلوب القرآن ٣/ ١/ ٦١ ، ٦٢ .

وهم فى كل ذلك يحكمون المعنى فى عودة الضمير ثم يقفون عند أحقية ما يعود عليه الضمير ، هل هو الأول أم الآخر ؟ والقياس عند الأخفش - أن يعود الضمير على كلا الاسمين إذا كان العطف بالواو فنقول زيد وعمرو ذاهبان، وليس ذاهب ، أما إذا كان العطف بأو فلك أن تحمله على الأول أو على الآخر ، والأقيس حمله على الآخر [1] ، وكذلك يقول الفراء إن الأجود فى العربية أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين ، إلا إذا كان الأول أهم كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ الجمعة ١١ وهو قول أبى عبيدة أيضًا [1] .

وكان لسياق الحال دوره فى تحديد المرجع ، وأول ما يبدو من ذلك الدلالة العامة فى مثل الضمير فى قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الأعراف ١٤٨ قال الزجاج « ومعنى من بعده أى من بعد ما جاء الميقات ، وخلفه هارون فى قومه » [1] . ومثل ذلك الضمير فى قوله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فصلت ١٤ قال الفراء « أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم ، يقول : وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل ، فتكون الهاء والميم فى (خلفهم) للرسل ، وتكون لهم تجعل من خلفهم لما معهم » [1] .

وفى هاتين الآيتين عودة إلى التفسير العام للآية حتى تفهم ويفهم ما يعود

---

(٢٥) راجع : معانى القرآن للأخفش ١/ ٨١ ، ٨٢ .

(٢٦) معانى القرآن للفراء ٣/ ١٥٧ . ، مجاز القرآن ١/ ٣٩ .

(٢٧) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤١٦ .

(٢٨) معانى القرآن للفراء ٣/ ١٣ .

عليه الضمير ، ففى الآية الأولى يعود الزجاج إلى قصة موسى عليه السلام والميقات ليحدد مرجع الضمير ، وفى الآية الثانية نجد الضمير فى (خلفهم) قد يعود إلى الرسل فيكون المعنى أتتهم رسل من خلف رسل ، أو يعود على الناس فتكون رسل لهم ولمن بعدهم وهكذا يعود الفراء إلى التفسير أو المعنى العام ليحدد المرجع .

وقد حاول النحاة والمفسرون تحديد المرجع إلى شخص أو أشخاص بعينهم، وأول ما يلفتنا تلك الضمائر التى تعود إلى شخص النبى ﷺ فـ « هو المعنى عندما يورد القرآن الآراء العدائية التى يبديها خصومه بشأنه » والنبى ﷺ هو من يتحدث الله عنه ليشجعه أو ليثنى عليه أو يعاتبه أحيانًا [1] ، وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة من مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الأنعام ٣٧ ، و ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ الرعد ٧ و ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ النحل ١٠٣ و ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ يس ٦٩ و ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ الجن ٢٨ قال الفراء « (ليعلم) يعنى محمدًا ﷺ » [2] ، و ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ الأعراف ١٥٧ ، قال الزجاج « أى بمحمد ﷺ » [3] و ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ التوبة ٤٠ قال النحاس « الهاء تعود على النبى » [4] ﷺ .

وقد جاءت بعض الضمائر تحتمل العودة إلى النبى ﷺ أو إلى غيره ، من ذلك الهاء فى ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ التوبة ٤٠ ، قال الزجاج

---

(١) من الشاطئ الآخر ١٣٥ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ١٩٦ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٦ .

« يجوز أن تكون الهاء التى فى (عليه) لأبى بكر ، وجائز أن تكون ترجع على النبى ﷺ ؛ لأن الله - جل ثناؤه - ألقى فى قلبه ما سكن به ، وعلم أنهم غير واصلين » [1] ، أما النحاس فيستعين بسياق الحال حيث يقول « القول عند أكثر أهل التفسير وأهل اللغة إن المعنى : فأنزل الله سكينته على أبى بكر لأن النبى ﷺ قد علم أنه معصوم ، والله جل وعز أمره بالخروج ، وأنه ينجيه ، والدليل على هذا أنه قال لأبى بكر ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة ٤٠ فسكن أبو بكر رضي الله عنه » [2] .

وقد جعل الفراء الضمير المستتر فى (أو تحلّ) فى قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ الرعد ٣١ عائدًا على النبى ﷺ ، قال (أو تحُلُّ أنت يا محمد بعساكرك (قريبًا من دارهم) [3] والأولى أن يعود الضمير على القارعة وهى فى السياق اللغوى فيكون التقدير تصيبهم القارعة أو تحلُّ (القارعة) قريبًا من دارهم .

وقد اختلف فى مرجع ضمير المخاطب فى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ ق ٢٢ على ثلاثة أقوال : الأول على أن المخاطبة للنبى ﷺ ، وقد اعترض على ذلك ، والثانى : أنها مخاطبة للكفار أو المشتركين ، أما الثالث : فهو أن المخاطبة للبر والفاجر أى أن الخطاب عام ، وهو ما نميل إليه لأنه لايقطع السياق اللغوى وهو رأى أبى جعفر النحاس الذى عرض الأقوال الثلاثة ثم قال « أما قول زيد بن أسلم (وهو عودة الضمير على النبى ﷺ) فتأويله على أن الكلام تم عند قوله جل وعز ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٢١٥ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٥ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ٦٤ .

وَشَهِيدٌ ﴾ ق ٢١ ثم ابتدأ يـا محمد لقد كنـت فى غفلة من هـذا الدين ، ومما أوحى إليك من قبل أن تبعث إذ كنت فى الجاهلية . . . وأولى ما قيل فى الآية أنها على العموم للبر والفاجر يدل على ذلك ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ ق ١٦ فهذا عام لجميع الناس بـرهم وفاجرهم . فقد علم أن معنى ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ ق ١٩ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت ، ثم جرى الخطـاب على هذا فى (لقد كنت فى غـفلة من هذا) أى : لقد كنت أيها الإنـسان فى غفلة مما عاينت ، فإن كان مـحسنًا ندم إذ لم يزدد ، وإن كان مسيئًا ندم إذ لم يقلع هذا لما كشف عنهما الغطاء »[1] والنحاس فى كل ذلك يحكم السياق اللغوى في الاستدلال على رأيه فسياق الآيات يبدأ بالحديث عن الإنسان عمومًا ويستمر فى ذلك فلماذا نقطعه .

واختلف المفسـرون فـى ضـمائر سورة النجـم فى الآيات الأولى من ذلك ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ النجم ٣ فالضمير المستتر فى (ينطق) للنبى ﷺ ، أو للقرآن الكريم[2] والضمير فى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ النجم ٨ يعود إلى جبريل ﷺ أو إلى الله عز وجل أما الضمير فى (عبده) فى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ النجم ١٠ فيعود إلى الله عـز وجل ، أى فأوحى إلى عبدالله[3] وعلى ذلك يكون الضمير فى (أوحى) عائـدًا على الله سبحانه وتعالى أيضًا ، أى : فأوحى الله إلى عبده ويكـون الكلام منفصلاً عما قبله ، لأن الحـديث قبله عن جبريل عليه السلام ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ النجم ٨، ٩ والإيحاء يكون من الله سبحانه ، وناقل الوحى هو جبريل عليه السلام.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) راجع : البحر المحيط ٨/ ١٥٧ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٥ ، الكشاف ٤/ ٢٨ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٣/ ٩٥ ، وراجع البحر المحيط ٨/ ١٥٨ .

وقد عرض النحاس قولين هذا أحدهما والآخر أن المعنى فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ عبد الله واختار هذا القول ، قال « وهذا أشبه بسياق الكلام لأن ما قبله وما بعده أخبار عن جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ فلا يخرج عنهما إلى أحد إلا بحجة يجب التسليم بها [1] والنحاس بذلك يحكم السياق اللغوى فى تفسير المرجع ، لكن القول الأول محتمل أيضًا .

وقدر الزمخشرى (إلى عبده) إلى عبدالله ، قال وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لا يلبس[2] أما أبو حيان فقد عرض لنا الأقوال فى عودة هذا الضمير حيث قال « فأوحى : أى الله إلى عبده أى الرسول ﷺ قاله ابن عباس ، وقيل إلى عبده جبريل . . . وقال الحسن فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ﷺ ما أوحى . . . وقال ابن زيد فأوحى جبريل إلى عبدالله محمد ﷺ ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام [3] .

ثم يأتى الضمير فى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ النجم ١٣ ، قال البعض إن الضمير فى (رآه) يعود على الله سبحانه ، وفى ذلك يكون النبى ﷺ قد رأى الله سبحانه وتعالى فى الدنيا ، لكن الضمير عند أكثر المفسرين يعود إلى جبريل عليه السلام ، يقول النحاس « أحسن ما قيل فيه وأصحه أن الضمير يعود على شديد القوى » ثم يروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله جل وعز الفرية والله جل ثناؤه يقول ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ الشورى ٥١ ، والله يقول ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ الأنعام ١٠٣ » ، فيقول لها الراوى : يا أم

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٧ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٩ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ١٥٨ .

المؤمنين : ألم يقل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ النجم ١٣ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ التكوير ٢٣ ، قالت : أنا سألت عن ذلك نبى الله ﷺ فقال : « رأيت جبريل عليه السلام نزل سادًا الأفق على خلقه وهيبته أو خلقه وصورته » (١) .

وعرض أبو حيان القولين ونسبهما حيث قال « ولقد رآه الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع نزلة أخرى أى نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها . . . وقال ابن عباس وكعب الأحبار الضمير عائد على الله على ما سبق من قولهما إن رسول الله ﷺ رأى ربه مرتين » (٢) .

وعلى قول عائشة رضي الله عنها تكون الضمائر فى (دنا) إلى (رآه) عائدة إلى جبريل عليه السلام ، وهو ما يعطى للسياق الحالى مكانته فى تحليل عودة الضمير ، بناء على نفى رؤية النبى ﷺ لله فى الدنيا ، لكن هذه الضمائر عند آخرين تعود إلى الله سبحانه وتعالى .

ومن الضمائر ما يعود على القرآن الكريم بدلالة السياق وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة (٣) ، ومن أمثلة ذلك ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَه ﴾ الأعراف ٥٣ ، قال الفراء : « الهاء فى تأويله للكتاب »(٤) ، و ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ المدثر ٥٤ قال الأخفش : « أى : إن القرآن تذكرة » (٥) ، ومن ذلك ما يعود على القرآن

---

(١) راجع : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٥/ ١٦٢ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٥٩ ، وراجع ٨/ ١٥٨ .

(٣) راجع : من الشاطئ الآخر ١٣٥ هامش ١ .

(٤) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٨٠ ، ٣/ ٣٤ .

(٥) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٥١٦ ، وراجع أيضًا : مجاز القرآن ٢/ ٢٦٨ ، ٢٨٦ معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٦٦ ، ١٩٧٠ ، ٢٦١ ، ٢٧٥ ، ٣٠٦ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٩٤ ، ٥/ ١٨ .

أو على النبـى ﷺ من مثل ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الأنعام ٩٢ قال الفراء « الهاء تكون لمحمد ﷺ وللتنزيل » [١] .

ومن ذلك ما عـاد إلى عيسى عليـه السلام واحتمل العـودة إلى شيء آخر مثل : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ النـساء ١٥٩ . قال الفراء «جاء التفسير بوجهين ؛ أحدهما أن تكون الهاء فى موته لعيسى، يقول : يؤمنون إذا أنزل قبـل موته ، وتكون الملة والدين واحدًا . ويـقال : يؤمن كل يهودى بـعيسى عنـد موته . وتحقيـق ذلك فـى قـراءة أبى (إلا ليؤمن بـه قبل موتهم) » [٢] فيكون الضمير فى (موته) إما أن يـعود إلى عيسى عليه السلام أو إلى كل يهودى . ومثل ذلك الهاء فى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء ١٥٧ قال الفراء الهاء لـلعلم كما تقول قتـلته علمًا[٣] ومثل ذلـك ما يعود إلـى موسى أو يوسف عليهما السلام أو السامرى [٤] .

ومن ذلك ما يعود علـى الكفار والمشركين والمنافقين واليـهود مما يدل عليه الحديث الشريف أو السيرة المطهرة[٥] ومن أمثلة ذلك ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ الأعراف ٢٠٢ قال الفراء «يعنى المشركين شياطينهم»[٦] . ومثل ذلك أيضًا الضمير فى ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا ﴾ آل عمران ١٨٨ قال النحاس « يراد بـهذا اليهود . . . وقال ابن زيد : هم المنـافقون كانوا

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٤٤ .

(٢) نفسه ١/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) نفسه ١/ ٢٩٤ ، وراجع تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٢ .

(٤) راجع : الحجة فى علل القراءات السبع للفارسى ٢/ ١٤٩

(٥) راجـع : من الشاطئ الآخر ١٣٢ - ١٣٤ ، والآيات ٧٥ ، ١٠٢ ، ١٧٠ ، ١٨٩ من سورة البقرة ، والإتقان فى علوم القرآن ٢/ ١٦٩ - ١٧٧ .

(٦) معانى القرآن ١/ ٤٠٢ ، وراجع : معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٣٩٧ .

يقولون للنبى ﷺ : نخرج ونحارب معك ثم يتخلفون ويعتذرون ويفرحون بما فعلوا لأنهم يرون أنهم قد تمت لهم الحيلة »[1] . ويتضح من هذا النص لجوء المفسرين إلى السياق الحالى (الخارجى) المتمثل فى أسباب النزول .

وقد يعود الضمير إلى شىء سبق ذكره فى السياق اللغوى من مثل الضمير فى ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ الأنفال ١١ ، قال الزجاج « أى : يثبت بالماء الذى أنزله على الرمل حتى استوى ، وجائز أن يكون زيَّن به للربط على قلوبهم »[2] واختلفوا فى بعض الضمائر وإن اتفق المعنى الذى يقصدونه فى مثل ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ الأنفال ١٠ قال الفراء « هذه الهاء للإرداف »[3] ، وقال الزجاج « وما جعل الله المدد إلا بشرى »[4] والمدد والإرداف يفهمان من الآية السابقة لهذه الآية . ومثل ذلك ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ آل عمران ١٠٣ قال النحاس « (فأنقذكم منها) الهاء تعود على النار لأنها المقصود أو على الحفرة »[5] .

ولقد أثرت القراءات كذلك فى تقدير مرجع الضمير من ذلك القراءات فى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ القلم ٤٢ فقد قرئت (يُكشفُ) و (تكشِفُ) وضمير الفاعل فى القراءة الثانية هو القيامة أو الساعة ، وكذلك قراءة ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ الانشقاق ١٩ فقد قرئت (لتركَبُنَّ) يعنى : الناس عامة ، و (لتركبَنَّ) أى أنت يا محمد ﷺ سماء بعد سماء ، أو (ليركبن)

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٢٥ ، وراجع ٥/ ٢٩ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٠٤ ، وراجع إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٧٩ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٣/ ٢٨٥ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٧٨ ، إعراب ثلاثين سورة ١٥٦ .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢/ ٢١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٩٨ .

كتابخانه ومركز اطلاع رسانى
ميناو دايرة المعارف اسلامى

. . . إلخ [1] ومثل ﴿ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ الطور ٣٤ فالهاء على قراءة الجماعة تعود على القرآن ، وقد قرأها الجحدرى (بحديثِ مثله) وفى هذه القراءة تعود إلى النبى ﷺ [2] وهناك ضمائر تعود إلى الذات العلية بدلالة سياق الحال منها الهاء فى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ الطارق ٨ ، قال ابن خالويه [3] « الهاء كناية عن الله ، أى : إن الله تعالى قادر على رجع الماء ورده فى الإحليل » .

ومن ذلك أيضًا ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ الفجر ٢٥ ، قال أبو عبيدة « يومئذ لايعذب عذاب الله أحد فى الدنيا » وإن كان بعضهم قدرها لايعذب عذاب الكافر أحد بإضافة المصدر إلى المفعول لا إلى الفاعل وبناء الجملة للمفعول أى يعذَّب عذابه [4] .

وقد يعود الضمير على شىء لم يذكر فى السياق اللغوى لكنه يفهم معناه من سياق الحال وأشهر الأمثلة على عود الضمير دون ذكر المرجع قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ص ٣٢ وقد عرض الفراء الموقف الذى تتحدث عنه الآية فقال : إن سليمان عليه السلام كان قد غنم تلك الخيل فلما صلى الظهر دعا بها ، فلم يزل يعرضها حتى غابت الشمس ولم يصل العصر [5] وعلى ذلك

---

(١) راجع : معانى القرآن للفراء ٣/ ١٧٧ ، ٢٥٢ ، معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٢٣٣ عند الآية ١٦ من سورة الأنعام (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٤ ، ١٥ ، معجم القراءات ٧/ ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٨/ ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) المحتسب ٢/ ٢٩٢ ، وراجع : معجم القراءات ٦/ ٢٦١ .

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٩ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٨ ، وراجع : معانى القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٤ ، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٥) معانى القرآن للفراء ٢/ ٤٠٤ .

يقدر أبو عبيدة الضمير المستتر فى توارت فيقول إن « المعنى للشمس وهى مضمرة »[1] ويعيب الزجاج على اللغويين قولهم إن الشمس لم يجر لها ذكر ، قال لأن فى الآية دليلاً يدل على الشمس ، وهو قوله : إذ عرض عليه بالعشى، والعشى فى معنى بعد زوال الشمس حتى توارت بالحجاب ، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجرى ذكر أو دليل بمنزلة الذكر »[2] .

لكن أبا حيان يقول « الظاهر أن الضمير فى توارت عائد على الصافنات أى دخلت اصطبلاتها فهى الحجاب ، وقيل حتى توارت فى المسابقة بما يحجبها عن النظر ، وقيل الضمير للشمس وإن لم يجر لها ذلك لدلالة العشى عليها »[3] ، والأولى - فى رأى - أن الضمير يعود على الصافنات وهى المذكورة فى السياق اللغوى وعودة الضمير على ما ذكر أولى من أن يعود على ما لم يجر له ذكر كما يقول النحاس[4] .

والأمثلة على ما لم يجر له ذكر فى الكلام كثيرة والمرجع دائمًا شىء مشهور أو معروف ، من ذلك مثلا ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ فاطر ٤٥ قال الأخفش « فاضمر (الأرض) من غير أن يكون ذكرها لأن هذا الكلام قد كثر حتى عرف معناه ، تقول : أخبرك ما على ظهرها أحد أحبُّ إلىَّ منك ، و : ما بها أحدٌ آثرُ عندى منك »[5] .

ومثل ذلك ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ الحاقة ١٧ « أى على أرجاء

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٨٢ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٤/ ٣٣١ .

(٣) البحر المحيط ٧/ ٣٩٦ .

(٤) إعراب القرآن ٥/ ٢٩ .

(٥) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٤٤٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٩

السماء » و ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ﴾ المعارج ٦ أى : البعث ، و ﴿ إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ المدثر ٣٥ الهاء كناية عن جهنم [١] ، ومثل ذلك ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ الشمس ٣ قال الفراء « جلى الظلمة ، فجار الكناية عن الظلمة ، ولم تذكر لأن معناها معروف ، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة وأمست باردة ، وهبت شمالاً ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر ؛ لأن معناها معروف »[٢] . ومثل ذلك ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ﴾ العاديات ٤ ، قال الفراء « الهاء كناية عن الوادى ولم يتقدم له ذكر ؛ لأنه عُرف المعنى »[٣] وكذلك الضمير فى ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ هود ٧٠ قال الفراء « أى إلى الطعام » [٤] .

ومثل ذلك الهاء فى قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر ١ ، قال ابن خالويه « فإن سأل سائل فقال : المكنى لايكون إلا بعد ظاهر ، وهذه أول سورة ، فلِمَ كنَّى عن شىء لم يتقدم ذكره ؟ فالجواب فى ذلك أن العرب قد تكنى عن الشىء وإن لم يتقدم ذكره إذا كان المعنى مفهومًا ، كقولهم : ما عليها أعلم من فلان يعنون الأرض » [٥] .

ومن ذلك ما كان شيئًا عامًا يعود على النفس من مثل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ الشمس ١٠ قال الفراء « قد أفلحت نفس زكاها

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢ ، ٧١ ، معانى القرآن للفراء ٣/ ١٨٤ ، ٢٠٥ .

(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٦٦ .

(٣) نفسه ١/ ٤٠٤ ، والآية السابقة هى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٢/ ٤٠٣ .

(٥) إعراب ثلاثين سورة ١٤٢ .

الله ، وقد خابت نفس دساها ، ويقال : قد أفلح من زكّى نفسه بالطاعة والصدقة ، وقد خاب من دسّى نفسه ، فأحملها بترك الصدقة والطاعة[1] والفراء هنا يعرض رأيين والهاء فيهما تعود على النفس ولايهمنا ما يتفرع على الرأيين .

وقد يعود الضمير على الإنسان ؛ من مثل ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ ق ١٨ قال النحاس « الضمير الذى فيه يعود على الإنسان ؛ أى : ما يلفظ الإنسان من قول فيتكلم به إلا عند لفظ به »[2] .

ومن ذلك أيضًا عودة الضمير على الثقلين الإنس والجن فى قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ٥٥ قال أبو عبيدة « (تكذبان) مجازها مخاطبة الجن والإنس وهما الثقلان »[3] .

من كل ما سبق يتبين لنا أهمية السياقين اللغوى وغير اللغوى فى تقدير مرجع الضمير ، وقد تبين لنا السياق اللغوى فى عودة الضمير إلى المصدر المأخوذ من لفظ الفعل المذكور فى الجملة ، أو اعتبار المرجع لفظة سابقة أو عودة الضمير على مرادفها ، كما تبين لنا سياق الحال فى اعتبار المعنى أساسًا للمرجع وبرز ذلك فى استخدام المعنى العام للآيات ، وأقوال المفسرين والعودة إلى الحديث الشريف والسيرة العطرة وربط ذلك بأسباب النزول ، وتبين لنا كيف تنبه النحاة إلى ذلك وحاولوا باستخدام سياق الحال إعادة الضمير إلى شخص أو أشخاص أو أشياء محددة .

والحق أن الدكتور طه حسين رغم قوله بأن تلك الضمائر أسماء إشارة إلا

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٤٣ .

أنه قد تنبه إلى أهمية السياقين اللغوى وغير اللغوى ، لكنه عرف السياق اللغوى وحده ثم قال إنه لايكفى وحده للكشف عن مرجع الضمير ، وينبغى أن تضاف إليه عوامل أخرى مثل الإشارات والإيماءات فى المقاطع الخطابية ، والمعارف التى قد تتوافر لدى السامع أو القارئ[1] وهذه الأشياء التى أشار إليها ليست إلا عناصر لسياق الحال أشار إليها ابن جنى فى خصائصه[2] كما اهتم البلاغيون والأصوليون والمفسرون من قبل ، كما عرفتها مدرسة السياق عند فيرث [3] .

وإذا كنا قد تناولنا فيما سبق البحث عن مرجع الضمير ، فلابد أن نشير هنا أيضًا إلى مرجع اسم الإشارة ، وهو ما وجدناه عند النحاة والمفسرين أيضًا وهو ما جعلنا نقول من قبل إن جعل الضمير بمعنى اسم الإشارة لايحل مشكلة المرجع .

ولا نبعد إذا قلنا إن النحاة والمفسرين قد فعلوا ما فعلوه فى البحث عن مرجع الضمير ، فوجدنا مثلاً أسماء إشارة مرجعها المصدر المفهوم من السياق ، من مثل ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود ١١٩ ، قال الفراء « للاختلاف والرحمة » [4] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٦١ ، قال الزجاج « معنى ذلك والله أعلم - الغضب حل بهم بكفرهم » . ومثل ذلك ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ آل عمران ٨٢ قال ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق » [5] .

---

(١) راجع : من الشاطئ الآخر ١٤١ .

(٢) راجع : الخصائص ١/ ٢٤٥ وما بعدها ، فقه اللغة فى الكتب العربية ١٦٧ وما بعدها .

(٣) راجع : الدلالة والتركيب ١١٨ وما بعدها .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣١ .

(٥) معانى القرآن وإعرابه ١/ ١٤٥ ، ١٠٢ ، ٣٠٠ ، ٤٢٦ .

وكذلك قال النحاس فى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ آل عمران ٧٥ « أى فعلهم ذلك وأمرهم ذلك »[١] ، وفى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى ﴾ ق ٣٧ قال « أى إن فى إهلاكنا القرون التى أهلكناها وقصصنا خبرها »[٢] .

ومن ذلك ما جاء إشارة إلى القرآن من مثل ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ هود ٤٩ ، قال الفراء « (من قبل هذا) يعنى القرآن »[٣] ومثل ذلك ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ الجاثية ٢٠ قال أبو عبيدة « مجازها : هذا القرآن بصائر للناس »[٤] .

وهم فى كل ذلك يعتمدون على السياق فى تقدير مرجع اسم الإشارة . كذلك كان للسياقين اللغوى وغير اللغوى دورهما فى حل مشكلة مخالفة المطابقة بين الضمير والمرجع ، وقد تكون تلك المخالفة فى مطابقة العدد من حيث التعبير بالمفرد عن المثنى أو العكس ، والتعبير بالجمع عن المفرد أو العكس، والتعبير بالمثنى عن الجمع أو العكس ، وكان للسياق أثره فى تفسير كل ذلك عند اللغويين والمفسرين[٥] .

وقد تكون المخالفة فى مطابقة النوع ؛ فقد يكون الضمير عائدًا على لفظة فى السياق اللغوى فى مثل ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ البقرة ١٤٣ قال الأخفش

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٨٨ .

(٢) نفسه ٤/ ٢٣١ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ١٩ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢١٠ ، وراجع : معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٩٧ .

(٥) راجع : العلاقة بين المطابقة العددية والسياق / مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد ٦٠ ص ٧ وما بعدها .

« يعنى القبلة، ولذلك أنث »[1]، و ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ﴾ البقرة ١٣٢، قال الزجاج « قوله (بها) هذه الهاء ترجع على الملة ؛ لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ البقرة ١٣٠ قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ البقرة ١٣٢[2] ومعنى ذلك أن تقدير رجوع الهاء إلى الملة جاء من وجود ألفاظ فى السياق اللغوى فى الآية ١٣٢ تدل عليها هى (إن الله اصطفى لكم الدين) .

وقد جاءت ضمائر تعود على مرجعين فى السياق اللغوى أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، وكذلك عادت مرة بالتأنيث وأخرى بالتذكير ، ومن ذلك (السقاية) و (الصواع) فى سورة يوسف الآيات من ٧٠ إلى ٧٦ ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ يوسف ٧٠ وقال عز من قائل ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ يوسف ٧٢ ، و ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ يوسف ٧٥ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا ﴾ يوسف ٧٦ ، فجاء الضمير مؤنثًا فى الآية الأخيرة وهو يعود على الصواع ، وهنا نجد الفراء يقول « ذهب إلى تأنيث السرقة . وإن يكن الصُّوَاع ، فى معنى الصَّاع فلعلَّ هذا التأنيث من ذلك . وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية »[3] .

ويمكننا أن نفهم كلام الفراء هذا من أقوال الزمخشرى الذى فسر (السقاية) بأنها مشربة يُسقى بها وهى الصواع ، ثم تساءل لم ذكَّر ضمير الصواع مرات ثم أنثه ؟ ثم قال « قالوا : رجع بالتأنيث على السقاية ، أو أنث الصواع لأنه يذكر

---

(١) معانى القرآن للأخفش ١/ ١٥١ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ١/ ٢١١ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٢/ ٥٢ .

ويؤنث ، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيدة صواعًا ، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية ، وفيما يتصل بهم منه صواعًا »[1] ، فهذه الضمائر بعضها يعود للسقاية وبعضها يعود للصواع ، أو إن الصواع يذكر ويؤنث ، ويضاف إلى ذلك عند الفراء عودة الضمير إلى (السرقة) المتحدث عنها فى الآيات وإن لم تذكر لفظًا .

وكلام الفراء هذا يأخذنا إلى ما فعلوه من جلب كلمة يدل عليها المعنى وإرجاع الضمير إليها ، وهذا ما نجده أيضًا عند الأخفش فى قوله تعالى ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل ٦٧ حيث قال « ولم يقل (منها) لأنه أضمر الشيء ، كأنه قال : ومنها شيء تتخذون منه سكرًا »[2] .

وقد يعود الضمير على لفظة فى السياق اللغوى مما يذكر ويؤنث ، ومن ذلك كلمة (الفلك) التى جاءت فى القرآن مذكرة فى (الفلك المشحون - الشعراء ١١٩ ، يس ٤١ ، الصافات ١٤٠) ، وجاءت مؤنثة فى آيات مثل ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ البقرة ١٦٤ و ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ يونس ٢٢ ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ إبراهيم ٣٢ إلى غير ذلك من الآيات . قال الفراء عند آية يونس « قوله : ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ يونس ٢٢ يعنى الفلك ، فقال جاءتها ، وقد قال فى أول الكلام (وجرين بهم) ، ولم يقل : وجرت ، وكل صواب ، تقول النساء قد ذهبت ، وذهبن . والفلك تؤنث وتذكر ، وتكون واحدة وتكون جمعًا . وقال فى (يس) ﴿ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ يس ٤١

---

(١) راجع : الكشاف ٢/ ٣٣٤ ، ٣٣٥

(٢) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٣٨٣ .

فذكَّر الفلك ، وقال ها هنا جاءتها ، فأنث . فإن شئت جعلتها ها هنا واحدة ، وإن شئت جماعًا »[1] . ومن ذلك (النخل) فقد قال الفراء عند قول الله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الحشر ٥ إن من قرأ (أصوله) ذهب إلى الجمع فى اللين كله ، ومن قال : أصولها ذهب إلى تأنيث النخل ، لأنه يذكر ويؤنث »[2] ، وكذلك كلمة (الشجر) فى ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ الواقعة ٥٢ ، ٥٣ [3].

وقد جاء الضمير مؤنثا فى قراءة ومذكراً فى أخرى ، فلجأ المفسرون إلى المعنى أيضًا فى تفسير ذلك . ومن أمثلة ذلك ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ﴾ غافر ١٥ قال الفراء : إن من قرأ بهذه القراءة « ذهب إلى الرجال وفى حرف عبدالله (برسولها) ، وكل صواب »[4] أى أن الضمير فى قراءة التذكير يعود على رجال الأمة وعلى قراءة التأنيث يعود على الأمة .

وقد يعود الضمير على شىء يفهم من سياق الحال لكنه يكون مرة بالتأنيث ومرة بالتذكير ، فيقدر المرجع تبعًا لذلك ومن أمثلة ذلك ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ عبس ١١ ، ١٢ قال الفراء « هذه السورة تذكرة ، وإن شئت جعلت الهاء عمادًا لتأنيث التذكرة » فضمير المؤنث عنده إما أن يعود إلى السورة أو أن يكون ضمير فصل يعود على التذكرة . أما الضمير الثانى المذكرة

---

(١) معانى القرآن للفراء ١/ ٤٦٠ .

(٢) نفسه ٣/ ١٤٤ ، وراجع : معجم القراءات ٧/ ١١٣ .

(٣) نفسه ٣/ ١٢٧ .

(٤) نفسه ٣/ ٥ ، وراجع أيضًا ٣/ ٣٧ ، ٥٥ ، ٢١٣ ، ١/ ٢٤٠ ، ٢/ ٥٨ ، ٥٩ ، معجم القراءات ٦/ ٣٦ .

فى (ذكره) فيعود عنده على القرآن[1] . وقدر الزجاج الضمير المؤنث للموعظة ، والمذكر للوعظ[2] . وقد جاءت الآيتان فى سورة المدثر بالتذكير هكذا ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ المدثر ٥٤، ٥٥ وهنا يقول الفراء « يعنى هذا القرآن ، ولو قيل : (إنها تذكرة) لكان صوابًا ، كما قال فى عبس ، فمن قال : (إنها) أراد السورة ، ومن قال : (إنه) أراد القرآن »[3].

وكذلك جاء اسم الإشارة فى مثل هذه الآيات فقدر المرجع من سياق الحال، من مثل ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ﴾ الإنسان ٢٩ قال الفراء « يقول : هذه السورة تذكرة وعظة »[4] ، وقال النحاس « قيل : أى هذه الأمثال والقصص وقدرها فى آية المزمل (إن هذه تذكرة - المزمل ١٩) فقال « أى هذه الأشياء التى تكون فى القيامة عظة ؛ وقال قتالة : يعنى القرآن »[5] ومعنى ذلك أن اسم الإشارة هنا قد يرجع إلى السورة أو إلى الأمثال والقصص والمواعظ وكلها مؤنثة ، وقد يرجع إلى القرآن وهو مذكر على قول قتادة .

وقد يعود ضمير العاقل على غير العاقل ، وبالتالى يكون مذكرًا . ومما ورد فى القرآن عودة الضمير على ما يعبد من دون الله من مثل ﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف ٤٥ قال الفراء « قال : (يعبدون) للآلهة ،

---

(١) نفسه ٣/ ٢٣٦ .

(٢) راجع : معانى القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٤ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٠٦ وراجع : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٤ ، أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٤) نفسه ٣/ ٢٢٠ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨ ، ١٠٩، ٦٢ .

ولم يقل : تعبد ولا يُعبَدن ، وذلك أن الآلهة تُكلَّم ويدعَى لها وتعظَّم ، فأجريت مُجرى الملوك والأمراء وما أشبههم » [1] .

ومثل ذلك الضمير ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ الأنبياء ٦٣ ، قال الأخفش « فذكَّر الأصنام وهى من الموات ، لأنها كانت عندهم ممن يعقل أو ينطق » [2] .

ومثل ذلك ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ يس ٧٥ ، قال النحاس : « (لا يستطيعون نصرهم) يعنى الآلهة ، وجُمعوا على جمع الأدميين ؛ لأنه أخبرهم بخبرهم (وهم) يعنى الكفار (لهم) الآلهة » [3] .

ومن ذلك ما يعود على الحيوان من مثل ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ النمل ١٨ قال أبو عبيدة « هذا من الحيوان الذى خرج مخرج الآدميين » ، والعرب قد تفعل ذلك قال :

شربتُ إذا ما الديك يدعو صباحه ... إذا ما بنو نعش دنوا فتصوَّبوا [4]

ومثل ذلك ما يعود على الأجرام الكونية [5] .

وقال الخليل بجواز ذلك من حيث صارت الأشياء عندهم تؤمر وتطيع ، وتفهم الكلام وتَعبُد ، بمنزلة الآدميين » [6] .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣/ ٣٤ ، وراجع أيضًا ٣/ ٤٩ .

(٢) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٤١١ ، وراجع : مجاز القرآن ٢/ ٤٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٧ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٩٣ ، والبيت للنابغة الجعدى راجع مجاز القرآن هامش ٢٦٧ ، الكتاب ٢/ ٤٧ .

(٥) نفسه ٢/ ١٦٢ .

(٦) راجع : الكتاب ٢/ ٤٧ ، ٤٨ .

خاتمة :

اتضح من ثنايا هذا البحث استغلال النحاة والمفسرين للسياقين اللغوى والحالى فى تفسير مرجع الضمير وتحديده ؛ فأسهم السياق اللغوى فى ذلك وتمثل فى عودة الضمير إلى المصدر المفهوم من فعل مذكور فى السياق ، أو من وصف سابق لذلك الضمير ، أو العودة إلى كلمة سبق ذكرها فى آية من آيات السورة أو فى موضع آخر من القرآن ، أو على مرادف لكلمة فى السياق أو على لفظ تلك الكلمة دون معناها .

وتحكم المعنى كثيراً فى عودة الضمير حتى إنه قد يعود الضمير إلى كلمة فى السياق ويقدرون المرجع له من المعنى ، لكنهم اختلفوا حول المرجع باختلافهم حول المعنى وتعددت المراجع للضمير الواحد حسب فهم النحاة للمعنى بل إنهم قد يعددون مرجع الضمير بمراجع تدور حول معنى واحد فى أصله ، من مثل ما قالوه حول آية الأنفال (٦٠) وآية يوسف (٩) .

وقد يذكر اسمان فى السياق اللغوى ويعود الضمير إلى أحدهما وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية فى تحديد مرجع الضمير ، وقد تجرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآنى هى سياق الحال فيحكمونها فى المرجع .

وأول ما بدا من لجوئهم إلى سياق الحال اهتمامهم بالتفسير العام أو الدلالة العامة لتحديد المرجع ، ثم محاولة إعادة الضمير إلى شخص أو شىء بعينه ، أو مجموعة من الأشخاص أو الأشياء ، واختلفوا فى تحديد تلك المراجع الخارجية وتعددت أقوالهم . وربما لجئوا إلى المرجع الخارجى والمرجع ظاهر فى لفظ الآيات . وربما كان ما يعود عليه الضمير شيئًا عامًا لاتحتاج إلى تقديره .

وإذا كان الدكتور طه حسين قد ذهب إلى جعل تلك الضمائر أسماء إشارة، فإننا نجد اسم الإشارة يحتاج إلى مرجع أيضًا بحث عنه النحاة واستعانوا فى ذلك بالسياقين اللغوى والحالى .

وكان للسياقين اللغوى والحالى دورهما فى حل مشكلة مخالفة مطابقة الضمير لما يعود عليه فى العدد والنوع ، وكذلك عودة ضمير العاقل إلى غير العاقل وقد أوضح البحث أقوال المفسرين فى ذلك وخلافاتهم .

وكان للقراءات أيضًا دورها فى تفسير مرجع الضمير ، ومطابقته وقد بين البحث ذلك فى موضعه .

ومما سبق يتبين أن هذه الدراسة قد وصلت إلى هدفها وأجابت عن الأسئلة التى بدأت بها فكشفت عن دور السياقين اللغوى والحالى فى تقدير مرجع الضمير .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والله ولى التوفيق

المصادر والمراجع :

١ - أحمد مختار عمر (دكتور) ، وعبد العال سالم مكرم (دكتور) .

- معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ط ١ ١٩٨٥/٨٢ م.

٢ - الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت ٢١١ هـ) .

- معانى القرآن ، تحقيق فائز فارس الحمد ، الكويت ١٩٧٩ م ط ١ .

٣ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) .

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ، بيروت ط ٢ (د. ت) .

- المحتسب فى تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩م .

٤ - حسن طبل (دكتور)

- أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ، توزيع مكتبة الزهراء ١٩٩٠ م.

٥ - أبو حيان الغرناطى (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥ هـ) .

- البحر المحيط ، دار الفكر ١٩٨٣ م ط ٢ .

٦ - ابن خالويه (أبو عبدالله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ) .

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، مصدر عن طبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .

٧ - الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت ٣١١ هـ) .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى ١٩٨٢ م ط ٢ .

- معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبى ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٨ م ط ١ .

٨ - الزركشى (بدر الدين محمد بن عبدالله ٧٩٤ هـ) .

- البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨ م .

٩ - الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) .

- الكشاف عن حقائق التنزيل ، البابى الحلبى ١٩٧٢ م .

١٠ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ) .

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧/٦٦ م .

١١ - السيوطى (عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١ هـ) .

- الإتقان فى علوم القرآن ، البابى الحلبى (د. ت) .

- همع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧/ ١٩٨٠ م .

١٢ - طه حسين (دكتور) .

- من الشاطئ الآخر ، ترجمة عبد الرشيد الصادق محمودى ، بيروت ١٩٩٠ م ط ١ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١٣ - عباس حسن .

- النحو الوافى ، دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة .

١٤ - عبده الراجحى (دكتور) .

- فقه اللغة فى الكتب العربية ، توزيع دار المعرفة الجامعية ١٩٧٢ م .

١٥ - أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ) .

- مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد شركين ، الخانجى ١٩٥٥ - ١٩٦٢ .

١٦ - العكبرى (أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله ت ٦١٦ هـ) .

- التبيان فى إعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، عيسى البابى (د. ت) .

١٧ - الفارسى (أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧ هـ) .

- الحجة فى علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣ جزءان .

١٨ - الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى ت ٢٠٧ هـ) .

- معانى القرآن ،

- الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، هيئة الكتاب ١٩٨٠ م .

- الجزء الثانى تحقيق محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت) .

- الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢ م .

١٩ - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ) .

- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١ م ط ٣ .

٢٠ - المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ) .

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩ م ط ٢ .

٢١ - محمد أحمد خضير (دكتور) .

- الدلالة والتركيب ، دار الزهراء للنشر ١٩٩٣ م .

- العلاقة بين المطابقة العددية والسياق ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٩٣ م العدد ٦٠ .

٢٢ - محمد عبد الخالق عضيمة .

- دراسات لأسلوب القرآن ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (د. ت) .

٢٣ - محمد حسنين صبرة (دكتور) .

- مرجع الضمير فى القرآن الكريم ، دار الثقافة العربية - القاهرة ١٩٩٢ م .

٢٤ - النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ) .

- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازى زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥ م ط ٢ .

٢٥ - ابن هشام .

- مغنى اللبيب ، تحقيق د. مازن المبارك ، ومحمد على الحمد ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٠ م ط ٦ .

٢٦ - ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش ت ٦٤٣ هـ) .

- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبى بالقاهرة (د. ت).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى